نظرات في بعض الحِكَم والأمثال الشعبية

راجعه

فضيلة الشيخ / عبد الرحمن البراك

دار الوطن للنشر

نظرات في بعض الحكم والأمثال الشعبية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعـة الأولى

١٤١٢هـ

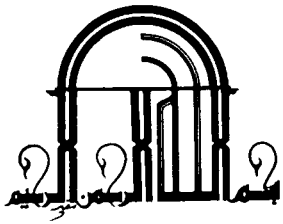
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

أخي المسلم.. أختي المسلمة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* كما نعلم جميعًا ، فإنه تنتشر في كل مجتمع أمثال وحكم شعبية عديدة يتداولها كبار السن ومن عاش في الأرياف وقليل من أهل المدن وغيرهم.

* **والجزيرة العربية** ـ كغيرها من البلاد ـ تزخر بكم وافر من هذه الأمثال والحكم التي هي حصيلة لتجارب ومواقف حدثت لأناس في الماضي فصار يضرب بهذه المواقف المثل عند حدوث ما يشابهها.

* وهذه الأمثال ـ بلا شك ـ فيها من الدروس الشيء الكثير، وفيها من الحكمة والطرافة ما لا بأس به.

* ولكن هناك بعض من هذه الأمثال نشأت في مجتمعات أمية ضعيفة العلم فكان مما لابد منه أن يوجد بعض هذه الأمثال يحمل خطأً أو يتعارض مع أحد أساسيات ديننا القويم.

* فأحببت أن أبين لإخواني المسلمين بعض ما رأيت من هذه الأمثال، مبيناً وجه الخطأ فيه، مستدلاً بآيات من كتاب الله العزيز، وأحاديث من السنة النبوية المطهرة، وجاعلاً حافزي في ذلك قول رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[1].

* ونبدأ في عرض مجموعة من الحكم والأمثال التي ورد معظمها في كتاب «الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب» لمؤلفه عبدالكريم الجهيمان:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٤٩٦).

(١) «من خان خان به الله»

وله صورة أخرى هي «عهد الله وأمان الله والخاين يخون به الله»، وهو معاهدة تتم بين اثنين أو مجموعتين على إتمام أمر ما، وأن من يخون هذا العهد فإن الله ـ بزعمهم ـ سوف يخون به..!!

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وتنزه سبحانه وتعالى عن أن يخون عبدًا، فإنه مما لا يخفي أن الخيانة عيب ونقص، والله عز وجل منزه عن كل نقص وعيب، ويحسن أن تستبدل بعبارة «والخاين يخون به الله» عبارة «والخاين يبغضه الله» لأن الله عز وجل يقول: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٥٨].

وهذا المثل يقال على لسان بعض الجهلة بحسن نية، فيجب التنبيه على من سمع يقول هذا الكلام أو ما شابهه.

***

(٢) «ساعة لربك وساعة لقلبك»

وقد يقصد بهذا المثل أن لا تجعل حياتك كلها عبادة بل اجعل ساعة لعبادة الله وساعة لفعل ما يمليه عليك قلبك. . !!

وأظن أنه لا ينبغي لمسلم أن يتفوه بهذه العبارة التي تقسم الحياة إلى ساعات للعبادة وأخرى لغير العبادة، بل يجب عليه أن يمتثل لقول الله عز وجل: ﴿قل أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٢].

فكل حياة المسلم يجب أن تكون لله، فإن حصل تناقض بين أوامر الله ورغبات القلب فيجب اجتناب هذه الرغبات، وإن كانت ـ هذه الرغبات ـ لا تخالف أوامر الله فلا بأس من تلبيتها لأنها في هذه الحالة مما أباحه الله. فالأكل والنوم والترفيه وكل أمور الحياة ـ إذا أحسن صاحبها النية ـ فهي من العبادات.

وبهذا يتبين أن هذا المثل يحتمل حقًا وباطلاً، وكثيراً

ما يطلقه من يريد الاستمتاع بما حرم الله عليه، فلا ينبغي إيراده وتردده على الألسن.

***

(٣) «شر وعيش مر»

قد تقال هذه العبارة ـ لوصف حالة الإنسان وتوضيح ما يمر به من ضائقة في العيش ـ على سبيل التسخط.

وهذا يدل على ضعف الإيمان لدى قائلها.. إذ لو كان متفهمًا لقول رسول الله ﷺ، : «**عجبًا لأمر المؤمن، أن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(١) لما صدرت منه هذه العبارة، بل عليه أن يتذكر نعم الله العديدة عليه.. وأن يصبر على كل ما أصابه إمتثالاً لقول الله تعالى: ﴿**واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور**﴾[سورة لقمان، الآية: ١٧].

***

(١) اخرجه مسلم (٤/٢٢٩٥).

(٤) «الآخرة مستأخرة»

أي أن يوم القيامة بعيد فلا تحمل همه. . وهذا من التسويف ومن وساوس الشيطان، ونرجو أن لا يكون قائل هذا المثل ممن قال الله فيهم: ﴿إنهم يرونه بعيدًا* ونراه قريبًا﴾ [سورة المعارج، الآيتان: ٦،٧].

ولو كانت الآخرة بعيدة فإن قيامة الإنسان قريبة وهي موته. . والموت من الأمور التي لا يدري أحد متى وقوعها إلا الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾. [سورة لقمان، الآية: ٣٤].

***

(٥) «من عصاني وهو يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني»

وينسب هذا القول لله سبحانه وتعالى، ويقصد قائله الترهيب من عمل المعاصي والحث على طاعة الله عز وجل، وهذا القول لم يثبت - كحديث قدسي - عن

رسول الله ﷺ.. بل هو من **الاسرائيليات** التي لا تصح.

فينبغي للمسلم عدم الجزم بنسبة هذا القول الى الله عز وجل.

***

(٦) «الضيق في القبر»

ويقال هذا المثل عندما يكون في أحد المجالس ضيق، فيأتي أحد ليجلس، فيفسح له في المجلس ويقال: «**ليس هناك ضيق.. الضيق في القبر**» وهذا الكلام ليس صحيحًا على الاطلاق.

فإن القبر يضيق على الكافر أما المؤمن فإنه يوسع له في قبره كما ثبت عن رسول الله ﷺ، في الحديث المشهور الذي رواه البراء بن عازب(١).

وعلى هذا **فلا ينبغي للمسلم** ذكر هذه العبارة التي

---

(١) انظر صحيح الجامع (١/٣٤٤).

توهم أن ضيق القبر حاصل لكل أحد والأمر بخلاف ذلك.

***

(٧) «شورك وهداية الله»

هذه المثل يقوله الشخص عندما يشير عليه أحد بمشورة ما ويقتنع بها، وهذه العبارة قد تحمل على محمل سيء وهو التسوية بين هداية الله ومشورة المخلوق لأن هداية الله عطفت على المشورة بالواو، وفي مثل تلك الحالة يجب أن يقول: «شورك بعد هداية الله» أو «هداية الله ثم شورك».. الخ.

***

(٨) «نوم الظالم عبادة»

وهذا المثل ليس ذا معنى صحيح على كل حال.. فالنوم قد يكون معصية وقد يكون مباحًا وقد يكون عبادة.. فمثلاً النوم عن ما أوجب الله معصية..

والنـوم للتقـوي على الطاعة من العبادات.. أما نوم الظالم فهو يكف الشر عن الناس، لكنه لا يكون عبادة في حقه إلا أن يقصد منع نفسه عن الظلم.

(٩) «حج فرضك واقضب أرضك»

أي أد فريضة الحج التي عليك ثم لا تبارح أرضك إلى الحج بعد ذلك..!

وهذه نصيحة غريبة.. إذ أنه من المعلوم أن حج النـافلة من أفضل الطاعات وأحسن القربات إلى الله تعـالى.. حيث يقول رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١)، ويقول أيضًا عليه الصلاة والسلام: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٢)

***

(١) أخرجه البخاري (٣/٥٩٧) ومسلم (٢/٩٨٣).

(٢) اخرجه البخاري (٣/٣٨٢) ومسلم (٢/٩٨٤).

(١٠) «العبد مسير ما هو مخير»

عندما يرتكب أحدهم خطأً أو يعمل عملاً يعاتب عليه، يبادر بالقول بأنه كان مسيراً عندما عمل هذا العمل ولم يكن له خيار.

وهذا من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والمخالفات التي يرتكبها العبد، وقد ذم الله المشركين بذلك، كما قال تعالى: ﴿**وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء**﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٥].

والصواب أن الإنسان مسير في جميع أموره ولكن له مشيئة واختيار، وعن ذلك تصدر أفعاله الاختيارية، فلا يصح إطلاق هذا القول لما فيه من الاحتجاج بالقدر ونفي اختيار العبد، وكلاهما باطل.

***

(١١) «الشتاء عدو الدين»

يقال هذا المثل - من بعض الجهلة - لكون البرد في

الشتاء يعوق بعض الناس عن بعض العبادات أو عن اتمامها كالوضوء والصلاة وغيرها، حيث أن الماء يكون باردًا والجو باردًا، فيحصل بعض المشقة.

وما علم هؤلاء أن المشقة الحاصلة بسبب البرد ونحوه من الأمور التي يكتب للعبد بها عمل صالح مع ما يحصل من تكفير السيئات كما في الحديث: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته**»(١)

فعلى المسلم أن يحتسب عند الله كل ما يصيبه من ذلك، وأن يجتنب القول بأن «**الشتاء عدو الدين**» لأن هذا القول يدل على التضايق من العبادة في وقت الشتاء للمشقة الحاصلة.

كما أن في ذلك القول نوع من سب الدهر الذي قد نهى عنه رسول الله ﷺ، حيث قال: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»(٢)

***

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٣).

(٢) انظر صحيح الجامع (٢/١٢٢٢).

(١٢) «فلان من أهل الجنة»

وتقال هذه العبارة لمدح رجل ما، عرف بالطيبة وحسن الخلق، فيقال: «**فلان من أهل الجنة**» لطيبته وحسن أخلاقه ولما يتمتع به من صفات حميدة.

ولكن من عقيدتنا أننا لا نحكم لأحد بجنة ولا بنار إلا بنص من الكتاب أو السنة، ولكن ندعوا الله أن نكون من أهل الجنة، وندعوا لمن عرف بالصلاح بالجنة، **ولا بأس** أن تعدل هذه العبارة إلى ما يفيد ربط ذلك بمشيئة الله كأن نقول: «**فلان إن شاء الله من أهل الجنة**» أو ما شابه ذلك، فالمحذور هو الجزم بأن هذا المعين من أهل الجنة، أما مع التعليق بالمشيئة فلا بأس.

***

(١٣) «تعلم السحر ولا تعمل به»

وأصله حديث لم يثبت عن رسول الله ﷺ، ومعلوم أن السحر محرم بل إن الساحر كافر بالله ورسوله. قال

الله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾[سورة البقرة، الآية: ١٠٢].

فلذلك لا يجوز لمسلم أن يتعلم السحر لأن نفس تعلم السحر كفر بنص الآية السابقة.

وبهذه المناسبة أحب التنبيه على وجوب الحذر من العمل بالأحاديث الضعيفة ومن رواية الأحاديث الموضوعة إلا مع بيان أنها كذب حتى لا يغتر بها.

***

(١٤) «مناب وكيل آدم على ذريته»

عندما تنصح أحدًا بأن يقوم بواجبه بالنصح وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه قد يبادرك بقوله هذه العبارة التي تعني: لست وكيل آدم على ذريته لكي أنصحهم وأوجههم..!

لكنه نسي أو تناسى أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثنى عليهم بذلك، قال تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠] وقول رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام: «**الدين النصيحة**» (١) وقوله: «**بلغوا عني ولو آية**»(٢)

فعند قيام المسلم بواجبه في النصح والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس معنى ذلك أنه وكيل لآدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على ذريته، بل هو العبد المأمور من ربه وهو بدعوته ونصيحته يحسن إلى إخوانه أعظم إحسان.

***

(١) أخرجه مسلم (٤/٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/٤٩٦).

(١٥) «القحم ما عنه غطا»

أي أن الـرجل الكبير في العمر ليس على المرأة أن تتحجب عنه بناء على اعتقاد أن الكبير لا رغبة له في النساء.

وهذا ليس بصحيح فالرجل مادام عقله وبصره معه فالغالب أن ميله للنساء موجود، أما إذا كان مخرفًا (أي مختلط العقل) أو أعمى فلا يخفى أن السبب الموجب للاحتجاب عنه مفقود فيه.

وعـلى هذا فيجب على المسلمـة أن تتحجب عنـد الرجال الأجانب بغض النظر عن أعمارهم، فالمسلمة تتحجب عند الشيخ الكبير وعند الشاب ما داموا ليسوا محارم لها، قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٩].

***

(١٦) «العاجز يعلم الغيب»

أي أن الرجل الكسول عندما يكلف بأمر ما فإنه يحاول قدر المستطاع أن يجد عذرًا لكي لا يقوم بهذا الأمر.

فيبدأ باختلاق الأعذار ويدعي أمورًا لا علم له بها فيقال حينئذ: «العاجز يعلم الغيب» على وجه التوبيخ له.

ووجه الخطأ في هذا القول أنه قد يتوهم بعض الناس صدقه وهو باطل ثم أن لفظه يناقض ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾. [سورة النمل، الآية: ٦٥].

***

(١٧) «الصلاة على أهل الغلات ما هيب على أهل العجيلات»

ومعنى هذا المثل: أن الصلاة تجب على أهل الأموال والغلات ولا تجب على الفقراء أصحاب العجيلات (العجيلات أي صغار البقر).

وهذا قول باطل بل اعتقاده كفر ولا يصدر التكلم به إلا عن جاهل.

فليس صحيحًا أن الصلاة تجب على مسلم دون آخر بل تجب على كل مكلف، وليس صوابًا أن الصلاة عمل يؤديه المسلم مقابل ما يرزقه الله ومقابل نعم الله عليه، بل الصلاة أمر قد فرضه الله على كل مسلم ومسلمة، فرضًا لا يسعهم تركه وركنًا من أركان هذا الدين العظيم قال الله عز وجل: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٣].

***

(١٨) «ما أخس من ركعتين بعد الصلاة»

وهي كلمة قد تخرج بحسن نية من البعض للترغيب في صلاة النافلة، وليس المقصود بها الانتقاص أو السخرية بالركعتين، بل معناه «ما أقل من ركعتين بعد الصلاة».

ولا شك أنه ينبغي للمتحدث أن يراعي الدقة في اختيار الألفاظ وخصوصًا عند الكلام في أمور العبادات وأمور الدين القويم. . وفي مثل هذا الموضوع يستحسن أن يقال: «**ما أقل من ركعتين بعد الصلاة**» أو «**ما أسهل من ركعتين بعد الصلاة**» أو ما شابه ذلك.

(١٩) «أحد رزقه يملأ الوادي وأحد رزقه بالقطارة»

إن كان يقصد بهذا المثل تبيين أن الناس يتفاوتون في الرزق وأن بعضهم يحصل على رزق كثير والبعض الآخر لا يكاد يجد إلا النزر اليسير مما يعينه على العيش فينبغي التنبيه إلى أن الله سبحانه وتعالى يرزق الناس بقدر وحكمة وهو أعلم بأعمالهم. . فمن الناس من أن رزقه الله رزقًا وافرًا فإنه يبغي في الأرض، قال الله تعالى: ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض، ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٧].

أما إن كان المقصود بهذا المثل التسخط أو الاعتراض على قدر الله، فهذا خطأ جسيم يستوجب على صاحبه الاسراع في التوبة والاستغفار.

***

(٢٠) «الموت مع الجماعة رحمة»

ويقصد بهذا القول أن الإقبال على عمل لا تعرف نتائجه يصبح هينًا عندما يكون بالاشتراك مع مجموعة من الناس حتى وإن كانت عاقبة هذا الأمر هي الموت!

ولكن ينبغي أن نعلم أن قيام جماعة من الناس بعملٍ، لا يقتضي كون هذا العمل صائبًا بل قد يكون خاطئًا أيضًا.. والله سبحانه وتعالى يخاطب الظالمين بقوله: ﴿**ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون**﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٣٩]

مما يؤكد أن الاشتراك مع جماعة في أي عمل سيء لا يؤثر على نتائج هذا العمل بالنسبة لأحدهم، بل كل

مسئول عن نفسه ومجزي بعمله، قال الله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [سورة المدثر، الآية: ٣٨].

***

أخي المسلم.. أختي المسلمة

* ليس ما ورد ذكره هو جميع الأمثال أو الأقوال التي تحمل مخالفات أو أخطاء شرعية، بل إن هناك العديد منها يمر علينا بين الفينة والأخرى يحمل خطأ أو ملحوظة لا تخفى على من له بصيرة.

* فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتزود بنصيب من العلم الشرعي الذي يمكنه من تنقية الكلام وتمييز الخبيث من الطيب، وأن لا يكون إمعة يردد كل ما يسمعه من الناس، بل ينبغي أن يسأل عن ما أشكل عليه.

* كما ينبغي الاحاطة بأن وجود مثل هذه الأمثال والأقوال في المجتمع لا يعني أن جميع الحكم والأمثال الموجودة سيئة، بل على العكس، إن غالبية الأمثال

تحمـل معاني سامية وتحث على الفضيلة وحسن الخلق والحذر من الأعداء. . . وغير ذلك من الأمور الحميدة.

وفيما يلي نذكر بعضًا منها على سبيل المثال:

* **من زرع الشر حصد الندامة.**
* **ما كل من يركب الخيل خيال.**
* **إذا تم العقل نقص الكلام.**
* **من كثر هذره قل قدره.**
* **الرفيق قبل الطريق.**
* **أهل مكة أدرى بشعابها.**

وغير ذلك من الأمثال العديدة.

وفي الختام..

أرجـو من الله العلي القدير أن يمن علينا بالتوفيق والهداية والقبول.

ولاشـك أن هذا الجهد عمل بشري قابل للنقص والقصور فما حصل فيه من نقص أو قصور فمن نفسي والشيطان وما كان فيه من الحق فمن الله العزيز الحكيم.

***

وصـلى الله وسلم على نبينـا محمـد وعـلى آله وصحبه أجمعين.. والحمد لله رب العالمين